ما هو الهدف من الحياة؟ (قصة ملحد)

تبدأ قصتي في أول سنة لي بالجامعة، فقد مرت عليَّ هذه السنة العديد من المشاكل؛ حيث انفصل والداي عن بعضهما، وحدث لي حادث سيارة، وتوفي أحد أصدقائي.

فسألت نفسي: لماذا أنا هنا؟ وما الهدف من الحياة؟ ولماذا أزعج نفسي بها؟

وبدأت في التشكيك في الهدف من الحياة، وبما أنني كنت مسيحيًّا، بدأت أتقصى.

ذهبت إلى مخيم الكنيسة، فوجدت الجميع يغني بكلمات لا أعرفها، وعندما شاهدوني سألتهم عن بعض الأسئلة التي أرهقتني.

فلم يفتحوا الإنجيل ليخبروني بالإجابة، بل كل واحد منهم أعطاني رأيه الشخصي، فكانت الإجابات تختلف عن بعضها، بل أحيانًا يكون رأي أحدهم عكس الآخر. حتى تصوراتهم عن الإله كانت تصورات عاجزة ومتناقضة وغير مقنعة.

فكيف يُصلب إله ويتعرض للأذى؟ لذلك أدركت أن هناك الكثير من التأويل في المسيحية.

ومع دراستي في الجامعة، كنت أعمل في محطة وقود، وكان أحد زملائي هنديًّا هندوسيًّا، فسألته: ما قصة الإله الهندوسي ذي رأس الفيل؟ ألم يكن ممكنًا أن تختاروا بدلًا منه إلهًا له رأس أسد مثلًا؟! فلم تعجبني الهندوسية.

وظللت أستقصي عن ديانات أخرى، وكان سؤالي هذه المرة عن الدين اليهودي. وبعد بحث طويل، وجدت أيضًا تصورهم عن الإله متناقضًا، مثل تناقض القساوسة في المسيحية، لذلك لم أجد في اليهودية ما كنت أبحث عنه.

وأخيرًا، بحثت في الدين البوذي، واعتقدت أن هذا هو الذي سأختاره، وعندما تعمقت في البحث، وجدت أن هذا لم يكن دينًا، وإنما طريقة جذابة للعيش.

وفي يوم، سألني أحد أصدقائي عن الأديان التي بحثت عنها، فقلت له: لقد بحثت عن المسيحية والهندوسية واليهودية والبوذية. فقال لي: وماذا عن الإسلام؟ فقلت: لن أستقصي عن إسلامهم، ما الذي يدفعني إلى دينهم؟

لكنني بعد فترة، وجدت نفسي أدخل مسجدًا دون أن أخلع حذائي، عابرًا سجادة الصلاة، وكدت أدوس على رأس أحد الساجدين. ثم نظرت، فوجدت الشيخ يمشي نحوي مبتسمًا، وقال: يوم جميل يا صديقي، كيف حالك؟

بعد هذا الاستقبال الطيب من الشيخ، جعلني أسأله ومعي أسئلتي التي سألتها من قبل، وأكثر ما أدهشني أنني عندما كنت أسألهم، كانوا لا يجيبون على الفور، بل كانوا يمسكون القرآن ويقولون لي: اقرأ هنا يا أخي. وهناك كنت أجد الجواب، مهما سألت من أسئلة صعبة.

وبعد مرور أسبوعين، قلت لأحد المسلمين بعدما سألته سؤالًا: لماذا لا تعطيني رأيك الشخصي؟ فقال لي: لا يمكن أن يكون لي رأي عندما نتكلم عن كلام الله. وهذا أثّر فيَّ كثيرًا.

ثم أخذت نسخة من القرآن، وأخذته للبيت، وبدأت أقرأه، فوجدت أن الأمر لم يكن أشبه بقراءة قصة، بل كنت أقرأ شيئًا يأمرني ويرشدني.

وفي ليلة، جلست أفكر في الأدلة الروحانية والعلمية عن حقائق مثل كون الجبال أوتادًا، أو نشأة الجنين في رحم أمه، وقلت: يا الله، اهدني. فانقلب حالي تمامًا، وشعرت أن الله قد دلني؛ لأن هذا الكون بجماله وعظيم تكوينه يستحيل أن ينشأ بلا خالق.

فقررت أن أكون مسلمًا، وأنطق الشهادتين، وبعد أن نطقتهما، ذهب كل الخوف والشك من عقلي.

وكانت معاملتي الطيبة مع أبي قد جعلته يفهم أن حقيقة الإسلام تختلف عما يُشاع عنه من أكاذيب، لذلك طلب مني القرآن، وأنا واثق أنه سيعلن إسلامه قريبًا، إن شاء الله.